أربـاض الـمـدن الـعـربية الإسـلامية القـديمة:دلالات عمرانية وسوسيو-ثقافيةبعض مدن المغرب الأوسط أنموذجا

The lands of the ancient Arab Islamic cities: urban and socio-cultural connotations of some cities in the middle of the Maghreb as a model

تاريخ الاستلام : 2019/07/01 ؛ **تاريخ القبول :** 2019/12/10

د . سليم زاوية*

جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة

ملخص

يبحث هذا المقال في حقيقة وطبيعة العمران خارج أسوار المدينة العربية الإسلامية القديمة، بعدما وصلت إلى مرحلة التضخم الحضري والسكاني. حيث أصبحت عاجزة عن توفيرٌ الشروط الضرورية للعيشٌ بداخلها، مما سمح بتشكيل تجمعات سكنيةٌ خارجية، استوعبت كل التوسعات والاستعمالات التي لم تجد لها فضاء داخل أسوارها. نحاول في هذا البحث تناول أهم الاشكاليات التي تطرحها هذه الفضاءات الضاحوية الموقع، المبهمة التسمية والمتداخلة أحيانا مع مصطلحات قريبة منها، وذلك من بعض الجوانب الأساسية، مثل: مفهوم ودلالة مصطلح الربض، تطوره التاريخي. مكونات هذا الفضاء من الناحية العمرانية والاجتماعية الثقافية، من خلال دراسة بعض مدن المغرب الأوسط.

الكلمات المفتاحية: المدينة العربية الإسلامية، العمران، الأسوار، الربض، الفضاءات الضاحوية.

Abstract

This article examines the reality and nature of urbanization outsider the ramparts of the ancient Arab-Islamic city; after reaching a phase of urban and demographic saturation, which made it unable to provide the necessary conditions to live indoors. This allowed the formation of periurban settlements; absorb all the expansions and occupations that have not found space within their walls. And it has become one of the most important features of the urbanization of the ancient Arab-Islamic city.

We try in this research to address the major problems posed by these suburban spaces by position; ambiguous by these multiplication appellations and terminologies, and this through these essential aspects such as: the concept el rabed or suburban; its meaning, and its historical evolution. These physical and urban components. These socio-cultural functions and this through multiple examples of central Maghreb cities.

Keywords: Islamic arabo_ city, urban planning, ramparts, suburbs, suburban spaces.

Résumé

Cet article examine la réalité et la nature de l'urbanisation en dehors des remparts de l'ancienne ville arabo-islamique; après avoir atteinte une phase de saturation urbaine et démographique, qui y rendue incapable de fournir les conditions nécessaires pour y vivre à l'intérieur. Ce qui a permis la formation des agglomérations périurbaines, absorbent toutes les expansions et les occupations qui n'ont pas trouvées d'espace à l'intérieur de leurs murs. Et c'est devenu l'une les plus importantes caractéristiques de l'urbanisation des anciennes villes arabo-islamiques.

Nous essayons dans cette Recherche d'aborder les problématiques majeures posées par ces espaces périurbains par position; ambiguë par ces multiples appellations et terminologies, et cela à travers ces aspects essentiels tels que: le concept el rabed ou banlieue; sa signification, et son évolution historique. Ces composantes physique et urbain. Ces fonctions socio-culturelles, et cela à travers de multiples exemples de villes du Maghreb central.

Mots clés: Ville arabo_ islamique, urbanisme, Les remparts, Les banlieues, les espaces périurbains.

* Corresponding author, e-mail: salim_zaouia@yahoo.fr

© جامعة الاخوة منتوري قسنطينة 1، الجزائر 2019.

مقدمة

عرف العالم الإسلامي ابتداء من القرن الثاني هجري موافق للثامن ميلادي تطورا عمرانيا معتبرا، حتّى قيل أنّ المجتمع الإسلاميّ هو مجتمع مدنيّ.[1] ولقد أولى الجغرافيون المسلمون المدن أهمية كبرى، لأنها كانت تستقطب كل الأنشطة الحيوية، وتساهم في تقدير أهمّية البلدان، ولم ينظروا إليها في ذاتها، بل بصفتها مراكز عمرانية تحيط بها العديد من القرى والبوادي.

فمثلا المدن عند المقدسي كالجند، والقرى كالرجّالة، وهي تستقطب السكان لكثرة خيراتها وتوفر أسباب العيش فيها.[2] وقد كانوا على وعيّ تام بأنّ المدن ليست بنفس الدرجة من الأهمية سواء من ناحية الموقع، والمساحة، أم من ناحية القيمة العمرانية، والظروف السياسية والاقتصادية التي مرّت بها خلال الحقب الإسلامية المتعاقبة. فميزوا بين المدن الصغيرة والعظيمة، والكبيرة، والوسطة، والواسعة.[3]

سنتطرق في هذا المقال لموضوع هام يتناول ظاهرة الأرباض المحيطة بالمدن العربية الإسلامية القديمة، والتي أخذت أبعادا عديدة منها، العمرانية والاجتماعية، والأمنية والعسكرية، وهي مرتبطة مباشرة بإحاطة المدينة بسور الذي كان له الأثر على محدودية مساحتها، مما تولد عنها امتدادات عمرانية سريعة خارج أسوارها، فأخذت نمطا متكررا من هيئة المدينة الأصل. فظهرت الأرباض المحصنة أيضا، والتي أثّر تحصين كل منها بسور في مساحة كل منها، مما أدى إلى تكرارها بالهيئة نفسها[4]، بالإضافة إلى القيمة الحضارية التي يعكسها بناء أسوار المدن الإسلامية في العصور الوسطى، لأنّ كل أسوار المدينة تحكي جانبا هاما من تاريخها السياسي والحربي، وأيضا الجوانب الأخرى العمرانية والاجتماعية المخفية في المجتمع.

إشكالية البحث:

يرتكز التصور العام لموضوع البحث على تحليل إشكالية النمو والتوسع العمراني للمدينة العربية الإسلامية القديمة المسورة، حينما زاد نموها وتشبع محيطها العمراني، وبالتالي تجاوزت الأسوار المحيطة بها. وما هي الأشكال، والأنماط العمرانية التي اتخذتها وراء أسوارها، ؟ وطبيعة الوظائف التي أدتها ؟ والاستعمالات التي استوعبتها ؟ وهل إحاطة المدينة بسور كان له الأثر على محدودية مساحتها أو لا ؟ وما هي التسميات التي أطلقت علي هذه التجمعات، ودلالتها ؟

تمثل هذه الفضاءات العمرانية التي شكلت مع المدينة العربية الإسلامية مركبا متكاملا، له عدّة دلالات ورموز من حيث ظروف وأسباب نشأتها، والتسميات والمصطلحات العديدة والمختلفة أو المتعارضة حسب اختلاف الثقافات المحلية، والبنى الاجتماعية والمكانية في كل منها، وأحيانا أخرى نجدها بمعاني ذات ضبابية على المستوى اللغوي، والاصطلاحي، وكمثال على ذلك: الربض، الحاضرة، الضاحية، الحوز، ظاهر المدن، الناحية...

لذلك سنتناول في هذا المقال الربض كظاهرة، وفضاء عمراني مرتبط بالمدن والحواضر العربية الإسلامية القديمة عامة، وذلك من حيث تسمياتها، وأشكالها

العمرانية، والمعمارية، ووظائفها الخاصة بها. ثمّ نركز على دراسة نماذج منها لبعض مدن المغرب الأوسط وهي: تلمسان، بغايا، قسنطينة.

1. التعريف اللغوي لمصطلح الربض: معجم من المفردات بمدلولات مشابهة له:
انطلاقا من الإرث القديم لمفهوم المدينة ووظائفها الأساسية التي برزت في الأمصار الأولى، والتي حددها الجغرافيون العرب بكونها تجمع للحضر محاط برستاق[5] يجلّ بجلالته، وقائم على وجوده مؤسسات، أهمها السوق والسور والمنبر والحمام. وهي بذلك تتميز عن القرية التي لا تتوفر فيها كل هذه العناصر مكتملة.
كما اهتمت الدراسات في مرحلة ثانية بعلاقة المدينة بمجالها الريفي نظرا للعلاقة الجدلية القائمة بين الطرفين، ومن ثمة أطلقت عليه عدّة تسميات تمثل كل واحدة منها حيز مكاني، ونسيج عمراني له عدّة أوجه من العلاقات التي تنسج مع المدينة الأم، منها، الإدارية، والجبائية، والاقتصادية والعمرانية، والاجتماعية، لتكون المحصّلة في صورة متكاملة للمشهد المحيط بالمدينة أو المظهر الحضر_ الريفي بالتعبير الحديث.[6]
ومن المفردات والمصطلحات التي تطلق على هذا الحيز المحيط بالمدينة العربية الإسلامية القديمة نجد الكثير، ومنها: الربض، الحاضرة، الضاحية، الحوز، والناحية والفحص...نحاول استكشاف معانيها اللغوية، ودلالاتها الاصطلاحية، كالآتي:

- **الربض:**

الربض هو ما حول المدينة، أي ما هو خارج عن كتلتها السكنية الرئيسية، أو خارج أسوارها.[7] وقيل: هو الفضاء حول المدينة. وقال بعضهم: الربض بالضم وسط الشيء، والربض بالتحريك، نواحيه. وقال ابن خالويه: ربض المدينة بضم الراء والباء أساسها، وبفتحهما: ما حولها. وفي الحديث: أنا زعيم ببيت في ربض الجنة هو بفتح الباء ما حولها وخارجا عنها تشبيها بالأبنية التي تكون حول المدن وتحت القلاع. ومنه حديث ابن الزبير وبناء الكعبة: فأخذ ابن مطيع العتلة من شق الربض الذي يلي دار بني حميد، الربض ـبضم الراء وسكون الباءـ : أساس البناء، وقيل وسطه، وقيل هو والربض سواء كسقم وسقم[8]. وفي المعجم الوسيط أَرْبَاضُ الْمَدِينَةِ: نَواحِيهَا، ضَواحِيهَا. ورَبَضُ الْمَدينَةِ أي سُورُها[9].
وحدد فقهاء الأحناف أرباض القاهرة، بـأي مكان يكون خارجا عن عمران المصر، وقدروه بمساحة عدّة أميال أو فراسخ.[10] ويرى حسين مؤنس أنّ الأرباض كضواح للمدن هو ما اتصل بعمارة المدينة وكانت صغيرة، وإذا كانت كبيرة منقطعة عنها سميت بالحاضرة.[11]

- **الحاضرة:**

الحاضرة هي اسم للمكان المحضور، ونجد ياقوت الحموي في معجمه يذكر قنسرين وهي قرية كالمدينة، ووصف حاضر حلب بأنه ربضها. فالربض والحاضرة يشتركان في أنهما من ظواهر المدن وتوابعها، وليس هناك ما يدل على الفرق بينهما من حيث الاتصال أو الانفصال عن المدينة الأم، أو اختلاف في الحجم والمساحة.[12]

- **الضاحية:**

ضاحية المدينة أي ناحية من نواحيها، وكلّ ما يحيط بها من أراضي ومساكن فهي ضواحي المدينة. ويقال الضاحيَةُ أَرْض ليس عليها حائِطٌ.[13] ويمكن ربط الضواحي خارج حدود أسوار المدينة بالتوسع السكاني، أو بوصول عناصر عرقية ودينية أقامت بالقرب من أسوار المدينة. وعلى هذا نمت ضواحي شاسعة غير محمية ساعدت المدن على استيعاب التزايد السكاني والتوسع خارج أسوارها.[14]

- **الناحيّة:**

ناحية المدينة هي تعبير للدلالة على النواتات السكنية الواقعة في المجال الريفي المحيط مباشرة بالمدينة، مثل: القصور، القرى الصغيرة، الأبراج والقلاع. وتحمل هذه النواحي معالم وسمات حضرية جزئية للمدينة في مجال ريفي محيط مثل: السكن الريفي، المسجد، الفندق، الحمامات، المنشآت المائية والحصون.[15]

- **الحوز:**

مصطلح جغرافي في اللغة يعني ضاحية. فالحوز من حاز حَوْزاً: وحاز الشيء حِيَازة: ضمّه وملكه. والحَوْز من الأرض: ما يحتازه الإنسان لنفسه ويبيّن حدوده.[16] أمّا اصطلاحاً: أَرْضُ الحَوْزِ هي الأرضُ التي مَاتَ عنها أربابها بلا وارث، وآلت إلى بيت المال، أو فتحت عنوة أو صلحاً، ولعلها سميت بذلك لأن الإمام حازها لبيت المال ولم يقسمها.

- **الفحص:**

الفحص هو تجسيد لحركة التمصير والتعمير لناحية المدينة المحيطة بها، وبروز بها عدّة نواتات زراعية حولها. بعيش هذا المشهد الريفي علاقة جدلية مع المدينة، وهو منقسم إلى عدّة أحزمة من البساتين والحدائق والغابات.[17]

- **الحارة:**

تعرّف الأرباض في مدن مصر مثلا: القاهرة والإسكندرية بالحارات للدلالة على الأحياء السكنية التابعة البعيدة عن المدينة، ومنفصلة عنها مجاليا، لدواعي اجتماعية ومهنية معينة، اقتضتها الضرورة.[18]

استنتاج

نستنتج مما سبق أنّ كلمة ربض وردت في معظم المعاجم العربية بمعنى ضاحية الوقعة خارج مركز المدينة السكني. وقي بعض المدن اعتادوا إطلاق تسمية الربض على الضواحي الواقعة داخل النواة المركزية المسورة. وقد كانت الأرباض والحارات ذات المساحة الكبيرة تشكل مدينة صغيرة شبيهة بالمدينة الكبيرة.

فالربض والضاحية يحملان نفس المعاني المتعلقة بالعمران المتصل بالمدينة على أبواب أسوارها كفضاء مكمل وتابع واحتياطي لها. وأما الحوز فهو فضاء عقاري زراعي يشمل مناطق واسعة ليكن الإقليم بالمصطلح التنظيمي للأقلمة الإسلامية للفضاء الترابي. وأما الفحص فهو فضاء ريفي زراعي محض تابع لاستغلال طبقة من الملاك في المدينة. لتبقى مفردة الناحية تحمل أكثر من لبس من حيث أنها أحيانا توحي

الواجهات المحيطة بالمدينة، وفي أخرى تعني كلّ المنطقة المحلية بكل تشكيلاتها الريفية والقروية والزراعية.

2. المدلول الجغرافي لأرباض المدن العربية الإسلامية القديمة: دلالات مركبة، ومختلفة.

لقد كان لازما علينا أن نفحص مختلف مكونات وبنيات أرباض أهم المدن العربية الإسلامية القديمة كفضاء عمراني تابع لها، والتي فرضتها أنظمة المدينة العربية المركزية أو الأم، والتي نراها متباينة من مدينة إلى أخرى، من المشرق إلى المغرب العربيين والأندلس. فكان وفق هذا التصور اختيارنا كلّ من بغداد، القاهرة من المشرق العربي، تونس وفاس من المغرب العربي للوقوف على أهم ملامحها الاصطلاحية، وذلك على النحو الآتي:

– مدينة بغداد:

تعدّ مدينة بغداد باعتبار تكويناتها المعمارية داخل الأسوار مدينة ملكية. نمت خارج أسوارها أرباض للعامة، وكان لتجربتها أثر واضح بعد ذلك في المدن الناشئة التي بدأت مدنا ملكية، و روعي فيها هذا الاعتبار، وتطورت بعد ذلك إلى مدن للعامة نتيجة اختلاف ظروف قيامها. [19]فأرباض المدينة المدورة التي أسكن فيها المنصور أتباعه وجيشه، حيث وزع عليهم الأراضي لبناء القصور والبيوت. أما الأطراف الشرقية من المدينة فهي منطقة ضيقة من الأرض محصورة بينها وبين دجلة، شيّد أبناء المنصور وبعض أقاربه قصوراً، كما بنى له هناك قصر الخلد، ولزوجته قصر أم جعفر. أمّا جنوبي المدينة فقد سكن فيه عدد من رجال الأسرة العباسية وهم من حاشيته والمقربين إليه، وسكن في هذه المنطقة أيضاً ابنه محمد المهدي قبل أن تشيد الرصافة، وكذلك بنى في هذه المنطقة مسجداً جامعاً اسمه مسجد الشرقية. أمّا الأطراف الغربية والشمالية فقد سكن فيها كبار رجال المسلمين من العرب والإيرانيين وما وراء النهر، فكان أغلب سكانها من الجند المقاتلين، ولم يكن لها أسوار مما ساعد في امتدادها وازداد عدد سكانها وكثرت أسواقها وأصبحت من أغنى وأكبر مناطق بغداد.

– مدينة القاهرة:

فهي مدينة مسوّرة تضم نحو ثمانية آلاف كانون. وهي تقع في سهل عنس قدم جبل المقطم على بعد نحو ميلين من النيل. وتحدق بها أسوار جميلة متينة ذات أبواب بديعة مصفحة بالحديد. يحيط بها عدّة أرباض تعرف بالحارات. وهي أرباض كبيرة الحجم تقع بنحو نصف إلى ميل من المدينة. وهي:

- **ربض باب زويلة** الذي يقع شمال غربي للمدينة على مسافة ميل واحد. ويضم نحو اثني عشر ألف كانونا، مخصص لسكن الطبقة الراقية من أهل المدينة. إضافة إلى مساكن فاخرة ومساجد وزوايا ومدارس.
- **ربض جامع طولون** الممتد نحو الشرق من المدينة، فيه قصر وجامع. ويضم الكثير من الصنّاع والتجار.
- **ربض باب اللوق** على مسافة نحو ميل من سور القاهرة. ويضم نحو ثلاثة آلاف كانون وسكانه من كلّ صنف. فيه قصر فسيح، وساحة كبيرة لبعض المسليات القبيحة،

والألعاب البهلوانية، والحانات يجتمع فيها في العادة سكان القاهرة بعد صلاة الجمعة، ويسمى حاليا هذا الربض بالأزبكية.

- **ربض بولاق** كبير جدا، يقع على نحو ميلين من المدينة المسوّرة على ضفة النيل، وعلى طول الطريق المؤدية له توجد بيوت حسنة ومساجد ومدارس وطاحونات. يضم هذا الربض نحو أربعة آلاف كانون، ويضم الكثير من الصناع والتجار، منهم بائعي الحبوب والزيت والسكر.
- **ربض القرافة** على شكل مدينة صغيرة يضم نحو ألفي كانون. فيه أضرحة لأولياء الصالحين وهي أبنية شاهقة ذات قباب بهية مزخرفة. يأتي إليها كثير من سكان القاهرة صباح كل جمعة للزيارة تبركا، وخاصة ضريح السيدة نفيسة. ويوجد في عالية هذا الربض المكس الخاص بالسلع الواردة من الصعيد.[20]

– مدينة تونس:

لقد بلغت مدينة تونس في عهد الملك محمد المستنصر ابن زكريا يحي في القرن العاشر هجري نهضة عمرانية واقتصادية هامة، كان من مظاهرها أنه بنى عدّة أرباض في ضواحي المدينة خارج أسوارها، ومنها:

- **ربض** خارج باب السويقة ويضم ثلاثمائة كانون.
- **ربض** خارج باب المنارة ويضم حوالي ألف كانون، وتمتد فيه حارة يسكنها نصارى تونس الذين يستخدمون في حرس الملك، أو يزاولون حرفا يقدر المسلمون ممارستها. وكلاهما عامر بعدد من الصنّاع والصيادين والعطارين وغيرهم.
- **ربض** على بعد نصف ميل ينزل به التجار الأجانب. وهو ربض كبير يضم نحو ثلاثمائة كانون مابين النصارى والمسلمين. تكثر في هذ الربض الفنادق والملاجئ لينزل فيه التجار الأجانب.

معظم هذه الأرباض تكثر فيها الجوامع ولكنها أقل أهمية من الجامع الكبير في المدينة، وعدّة مدارس للطلبة وبعض الزوايا للمريدين المتنسكين.[21] كما نلاحظ في ضواحي مدينة تونس شريط يحيط بها على مسافة أربعة أميال من الرياض الأميرية منذ مطلع القرن السابع هجري وهي بساتين نموذجية للأمراء الموحدين والحفصيين مثل رياض أبي فهر الذب الذي بناه سنة 648 هـ. انتشرت فيها المنازل والقرى الغير المحصنة والسواني[22] والبساتين، لكن يبدو التطور العمراني للمدينة دافعها للانتشار بالضاحية الغربية من باب أبي سعدون إلى رأس الطابية، وباردو ومنوبة وقريانة، وبقرطاجة وأريانة، حيث الحدائق المليئة بالثمار.[23] وبساتين للزيتون المخصص للتصدير نحو مصر، وخشبه يصنع منه الفحم ليستعمل في المدينة.

– مدينة فاس:

مدينة كبيرة تحيط بها أسوار متينة وعالية، تكاد تكون كلها مشيّدة على تلال، وتحيط بها بنحو ميل إلى ميلين العديد من الأرباض، والاستخدامات التي لا تقبلها المدينة مثل:

- أفران الجير لسدّ حاجيات بناء الجوامع والأملاك التابعة لها.
- عدد كبير من البيمارسانات.

- العديد من المطامير لتخزين الحبوب.
- أسواق أسبوعية للماشية وبعض السلع القادمة من الخارج.
- مساحات مخصصة كمقابر لدفن الموتى أوقفها المحسنين.
- مقابر مخصصة لدفن الملوك والأمراء.
- بساتين وحدائق في شرقها وغربها مثل أرض زواغة التي تقع غرب فاس عرضها نحو خمسة عشر ميلا، وطولها نحو ثلاثين ميلا، وهي ملك الجامع الكبير في فاس.

▪ **ربض المطامير** بجهة الغرب ويضم نحو خمسمائة كانون. تسكنه فئات اجتماعية ومهنية وضيعة في المجتمع الفاسي في تلك الفترة مثل: المشعوذين والموسيقيين من الدرجة السفلى وسائقي الجمال وحطابي القصر الملكي والبنائين. توجد به عدّة دكاكين لكلّ الصنّاع. يتشكل من زقاق رئيسي أرضيته مطامير أهل المدينة وتتفرع منه أزقة ثانوية تكثر فيها دكاكين الخمر، والماخورات وقاعات لعب النرد.[24]

▪ **ربض للمجذومين** يضم مائتي كانون يسكن فيه المجذومون وذوي الأمراض المزمنة التي رفضتهم المدينة.

▪ **ربض** آخر يقع على نحو ميلين على الطريق الواقع إلى غرب من مدينة فاس باتجاه مدينة مكناس. يضم نحو أربعمائة كانون وهو مخصص للسكان القادمين من البادية ولم يستطيعوا الاستقرار في المدينة وتقوم كل يوم خميس سوق للماشية والبضائع القادمة من الخارج.[25]

استنتاج:

نستنتج من خلال هذه الإحاطة لبعض الأمثلة من قراءة على الأقل لبعض أوجه بنيات النسيج العمراني والاجتماعي الثقافي لهذا النوع من الفضاءات المنبثقة عن النمو العمراني للمدينة العربية الإسلامية، وبالتالي طبيعة التعامل والتدبير للفكر التخطيطي الإسلامي معها، وهي على النحو الآتي:

مجاليا هو تمدين خارج الأسوار يبرز في شكل نواتات سكنية ذات دلالات اجتماعية وثقافية واقتصادية مختلفة مابين مدينة وأخرى. ولكن هذه المناطق تبقى فيها أراضي فضاء واسعة تمتد حول المدينة، جزء منها توسع فيه عمران المدينة، والباقي بقي لاستخدامات مكملة لها مثل: المدافن، وفضاءات كبيرة لصلاة العيدين، وأراضي بور، وحدائق وفضاءات أخرى يجئ سكان المدينة إليها للنزهة والتسلية واللهو.

تضاريسيا تحتل مواقع سهلية غنيّة بالعيون المائية والأراضي الخصبة تسمح بالامتداد العمراني القريب للمدينة، والاستغلال الزراعي المكمل لاقتصاد ومعيشتها. وتتجلى لنا الصورة من خلال من خلال ارتباط البرجوازية الحضرية للمدينة بالأرض الزراعية لهذه الأرباض، والتي تعدّ من بين المصادر الأولى للثورة في تلك الحقب التاريخية، وهي تأخذ شكل ضيعات وسواني، بساتين وغابات، ورياض.

فضاءات إستراتيجية لحماية المدينة غذائيا من خلال اعتماد بناء عدّة مطامير للحبوب، وأرحيّة.

التحصين الأمني للمدينة خارج أسوارها من خلال بناء حصون، وأبراج، وقلاع، وأربطة لحمايتها من الغزو الخارجي. وهي تختلف من مدينة إلى أخرى، حسب موضعها الطبوغرافي، وموقعها الجغرافي.

فضاءات روحية: بحيث في العادة يخصص لإقامة صلوات العيدين والاستسقاء، للمقابر وأضرحة...

اجتماعيا: حملت هذه المجالات تناقضات اجتماعية صارخة، من جهة نجد أرباض مخصصة للطبقات الوضيعة والقبيحة والفقيرة، والأجانب والغير مسلمين وكلّ أقذار المجتمع. ومن جهة أخرى نجد أرباض أخرى فيها قصور ورياض الملوك وأملاك البرجوازية الحضرية. أي بمعنى أنّ المجتمع طبقي وتميزي، بالإضافة إلى تعبير عن اختلال مجالي بين المدينة والربض. فالربض هو فضاء للتهميش والإقصاء. والمدينة هي فضاء انطوائي، ولا يقبل الخارجي (يدعى بالبراني) وفي الأغلب نجد سكان هذه الأرباض غير مندمجين مع المدينة، ويعيشون في ظل ظروف عير ملائمة اجتماعيا. وبصفة عامة يبدون كمتمردين وناقمين، ويبدو أنّ هناك تعارضا مع المدينة، وبالتالي فالعلاقة بينهما هي صراع اجتماعي واقتصادي وأحيانا عقائديا.

3. الربض كنمط عمراني تابع للمدينة العربية الإسلامية القديمة:

المدينة العربية الإسلامية ليست ظاهرة دينية، بل ظاهرة عمرانية، اتسمت بتعبير وتنظيم مكاني، امتزجت فيها القوانين المادية بالقيم الروحية. لهذا فإنّ نسيجها الحضري، ومكوناتها المكانية جاءت نتيجة تفاعل الإنسان مع بيئته، وعقيدته الإسلامية. ويلاحظ على نمو المدن الإسلامية المسورة أنّه كان يمتد خارج الأسوار في مدة قصيرة لازدحامها بسكانها. وكان هذا الامتداد يأخذ هيئة محلاّت سكنية متكاملة تسمى اصطلاحا « **أرباضا** » بنيت لها أسوار خاصة بها، وكانت تربطها بأسوار « **المدينة الأم** » [26] مناطق اتصال فتحت بها الأبواب التي تيسر الاتصال بينهما. وأشتمل كل ربض على كل التكوينات المعمارية التي تستلزمها حياة ساكنيه.

تاريخيّا الأرباض ظاهرة قديمة، اقترن وجودها بالمدن الإغريقية الكبيرة، ثم المدن العربية الإسلامية في العصور الوسطى. أصبحت فيما بعد ظاهرة حضرية بارزة في كلّ مدن العالم، نتيجة الثورة الصناعية، ثمّ ظهور المدن المتروبولية الحديثة.[27]

فالربض يتشكل عندما تضيق المدينة بمن فيها، ويرتفع عدد الوافدين إليها رغبة في استيطانها، فيصبح من الضروري التفكير في التوسع، فيُشيّد المسجد خارج باب المدينة، وتُقام السوق، ويتجسم المسلك، وتُبنى الدور، وتنشأ المرافق: الكتّاب والحمام والبقال والخباز، وإذا بالدرب يكتمل فيتفرع عنه المسكن، ويتولد عنه الدرب، وهكذا حتى يكتمل النسيج الممتد من باب المدينة إلى سور الربض الخارجي.

وحسب هذه النماذج من الأرباض نستنتج بعض الشروط التي كانت سببا في نمو نسيجها العمراني خارج الأسوار وهي كالآتي:

– ملائمة طوبوغرافيتها السهلية بوجود مساحات كالميادين المتسعة والحدائق الواسعة، بإنشاء بعض التكوينات المعمارية التي تشغل مساحات كبيرة كمصلى العيد أو

المصارة « أماكن عرض الجند » والأسواق الأسبوعية، وغير ذلك من المنشآت التي تضطر ظروف المساحة إلى إنشائها خارج أسوار المدينة.[28]
كما دعت الحاجة من فترة إلى أخرى إلى إنشاء أسوار للمدن التي لم تكن لها أسوار كالمدينة المنورة، أو تجديدها وتوسيع نطاقها لتضم امتدادات عمرانية خارج الأسوار كما جرى في مدينة القاهرة. وتوسع نطاق الأسوار و وصلها ببعضها عن طريق أبواب تربط الأرباض مع المدينة الأم، وتربط الأرباض بعضها ببعض.[29]

– تشجيع بعض الحكام للعامة على المشاركة في حركة العمران وتعمير المدن الإسلامية. ويبدأ التمهيد لهذه المشاركة من جانب الحكام باختيار المواضع الصالحة للإنشاء وفق مواصفات خاصة، تشجع على الإقبال وعمارتها من العامة. ثم البدء في الإنشاء والتعمير، وجمع القبيلة في مكان واحد، حيث إن هذا الجمع دفع القبيلة إلى بذل قدر طاقتها لأعمار موضعها بمستوى يتناسب ومنزلتها. وقد أدى ذلك في النهاية إلى إعمار الخطة إعمارا متكاملا من جهة، وإلى منافسة الخطط الأخرى في ذلك من جهة أخرى، فازداد عمران المدن وتعددت أرباضها.[30]

– اتساع عمران بعض المدن الإسلامية اتساعا هائلا بفضل مقوماتها الحضارية التي توفرت لها، ومن المؤشرات التي تدل على ذلك، زيادة عدد سكان هذه المدن زيادة كبيرة في فترة وجيزة، ولا أدل على ذلك من البصرة التي بلغ عدد سكانها في ولاية الحجاج ستمائة ألف نسمة[31].

وتعكس هذه الكثافة السكانية دورها ومنشآتها. فقد اتصلت العمارة بها في أيام بني أمية ثمانية فرسخا طولا وفرسخين عرضا، وذلك في الأميال أربعة وعشرون ميلا في الطول وستة أميال في العرض... وعدد أرباضها المحيطة بها واحد وعشرون ربضا. كلّ ربض منها يزيد عرضه و طوله على الميل، وفي كلّ ربض منها من المساجد والأسواق والحمامات ما يقوم بأهله، ولا يحتاجون إلى غيره. [32]
وقد دهش الرحالة الأجانب لاتساع مدينة القاهرة وامتداد عمرانها. ويعكس وصف ليون الأفريقي مدينة فاس ما كان عليه عمران هذه المدينة، ويؤكد ذلك إحصاؤه لحوانيتها وأسواقها وفنادقها وحماماتها وطواحينها ومنازلها وساجدها و مدارسها، وما اشتملت عليه من مرافق تدل على مستوى حضاري متقدم[33].

– كان للوقف الأثر الواضح في اتجاه التعمير في المدن العربية الإسلامية القديمة القاهرة وامتداده. فقد كان للحكم الفقهي الذي يقضي بعدم البناء على الأرض الموقوفة في القاهرة الأثر المباشر في عدم بناء المماليك « بالقرافة » التي وقفها عمر بن الخطاب للدفن فقط، فاتجهوا لإنشاء أضرحتهم في منطقة صحراوية شرقي القاهرة، فأقاموا عليها العديد من الروائع المعمارية التي تشتمل على أضرحتهم، بالإضافة إلى العديد من المدارس والخانقات والرباع وغير ذلك، فلم تكن مدينة للأموات فحسب، ولكنها كانت «مدينة الأموات الحية». ومع الثراء الاقتصادي ونظرة المماليك للأوقاف كمخرج لتأمين مستقبل ذريتهم كان لا بد من الانطلاق الإنشائي في مناطق أصبحت مهيئة لامتداد عمراني متزايد وسريع، فعمرت منطقة بولاق وباب اللوق وامتدت القاهرة شمالا في

اتجاه العباسية« الريدانية » وعمرت ضواحي كسرياقوس التي امتدت إليها عمارة ا لمماليك وأصبحت من ضواحي القاهرة. (34)

وما ينسجم على القاهرة ينسجم على غيرها من المدن الإسلامية شرقا وغربا، تلك المدن التي أنشئت بها المنشآت الدينية والخيرية المختلفة ووقفت عليها أوقاف كثيرة منها ما هو عقار ومنها أراضي زراعية، صرف من ريعها على هذه ا المنشآت فأدت أغراضها. وهو أمر يبرز أهمية الوقف في تطور عمران المدن الإسلامية القديمة.

– كان لميول بعض الحكام للنزهة و الخروج من نطاق المدينة أثر في امتداد العمران إلى ضواحيها بإنشاء البساتين والقصور والمناظر وغيرها، ولا أدل على ذلك من إنشاء الظاهر ميدانا بظاهر القاهرة، وامتد بذلك العمران في منطقة بولاق وخانقاة سريقاس، وغيرها في الضواحي. (35)

– النمو العمراني المتزايد للمدن دفع بعض المنشآت الصناعية والحرف إلى أطرافها، ونرى أمثلة ذلك واضحة في وجود أفران الجير والفخار عند الأطراف الخارجية للمدن بعيدا عن تكويناتها المعمارية. ومع النمو العمراني المستمر للمدن امتدت الأرباض الجديدة في اتجاهات مختلفة يحكمها موضع المدينة، ومرافقها ،وتخطيطها العمراني الذي تسري عليه نفس القواعد التي تحقق قاعدة جلب النفع وتدفع الضرر.(36)

استنتاج:

نستنتج ما انتهى إليه لابيدوس إلى أن المدن الإسلامية نشأت و تطورت عمرانيا، ولم تعد مدنا مفردة، لكنها أصبحت مدنا مركبة. على أنها تضم أكثر من مدينة-على حد قوله- كبغداد التي أحاطت بها الحربية من الشمال والكرخ من الجنوب وتقابلها الرصافة على الضفة الأخرى من نهر دجلة. وكذلك القاهرة التي أصبحت تشتمل على الفسطاط و العسكر والقطائع. (37)

هي رؤية تتضح أكثر في ضوء ما أشرنا إليه من مراحل النمو المعماري للمدينة الإسلامية التي تنمو في هيئة أرباض ظاهر المدينة، تتصل عمرانيا بالمدينة متأثرة بالأوضاع السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية التي تمر بها المدينة. فقد أنشئت بغداد كمدينة مستقلة، ثم أنشأ المنصور الرصافة لابنه المعتصم بالله هو وجنده، وأن لها كيانها المستقل أيضا، وأنشئ الكرخ لنقل التجارة من بغداد إليه، وأنشئ له مسجد جامع ليمنع دخولهم إلى المدينة، وفي مرحلة لاحقة أدمجت التكوينات الثلاثة وأصبحت تشكل كيانا واحدا ولا سيما بعد أن ألغيت صلاة الجمعة في الأرباض الجديدة.

وكذلك الحال بالنسبة للفسطاط والعسكر والقطائع والقاهرة، فلم يحدث هذا الدمج إلا بعد القضاء على الدولة الفاطمية، وكان جانبا من خطة صلاح الدين التي رمت إلى القضاء على الأثر الفاطمي، وتحويل القاهرة إلى مدينة عامة.(38)

وانتهى لابيدوس إلى أن ا لمدن الإسلامية نشأت و تطورت عمرانيا، ولم تعد مدنا مفردة، لكنها أصبحت مدنا مركبة.على أنها تضم أكثر من مدينة-على حد قوله-كبغداد التي أحاطت بها الحربية من الشمال والكرخ، ومن الجنوب، وتقابلها الرصافة على الضفة

الأخرى من نهر دجلة، وكذلك القاهرة التي أصبحت تشتمل على الفسطاط والعسكر والقطائع. [39]

4. نماذج من أرباض مدن المغرب الأوسط:

فيما يخص مدن المغرب الأوسط خلال الحقبة الإسلامية فقد اخترنا بعض النماذج منها لتوفر بعض المصادر التاريخية التي تطرقت ولو بإيجاز عن هذه الفضاءات المحيطة بالمدن. وفي الكثير من هذه المدن كان يمنع التعمير خارج أسوارها، أو بسب كثرة الصراعات على الحكم والتبعية السياسية لها جعلها تبقى حبيسة أسوارها. بالإضافة إلى أنّ بعض الوثائق تشير إلى أنّ بلاد المغرب الأوسط كانت تقل فيها المراكز الحضرية والمدن لأنّ السكان كان يغلب عليهم طابع حياة البداوة والترحال، لذلك لم يكن هناك عمران كبير خارج أسوار المدن ماعدا القليل منها، أو في نطاق ضيق، وعلى شكل ضيعات زراعية، وبساتين فلاحية ومتزهات وميادين وملاعب لسباق الخيل والفروسية[40]. لذلك ركزنا في هذا البحث على مدينة تلمسان ومدينة باغايا ومدينة قسنطينة.

– مدينة تلمسان:

تلمسان مدينة كبيرة، وعاصمة مملكة، توسعت أيام بني عبد الواد حتى أصبح فيها ستة عشر ألف كانون على عهد الملك أبي تاشفين، وبلغت درجة عالية من الازدهار. أسوارها في غاية الارتفاع والقوة، فتحت فيها خمسة أبواب واسعة جدا، ومصاريفها مصفحة بالحديد.

وجد بضواحي مدينة تلمسان في ذلك العهد عدة أرباض، يقطنها بعض التلمسانيين الذين يشتغلون بالحقول والبساتين وبفلاحة الأرض. وكانت للعديد من الأسر التلمسانية منازل ودور في الضواحي والأرباض، يترددون عليها حينا وعلى المدينة أحيانا، وخاصة في فصل البذر والحصاد. وكانت هذه الأرباض هي التي تزود سكان المدينة بمختلف أنواع الخضر والفواكه والحبوب. فقد كانت لآل مرزوق حقول زراعية بربض العباد، وبعض الدور يترددون عليها. وكان جد هذه الأسرة يقوم بفلاحة الأرض، ويفضل الإقامة بالعباد العلوي عن المدينة. [41]

ومن الأرباض أيضا بتلمسان موضع يعرف بـربض بني مستار، وآخر يقع بالقرب من مسجد إيلان غرب المدينة، ولعل عمران هذا الربض قد اندثر وزال في القرن الثامن هجري، لأن ابن مرزوق يشير إلى أنه كان عبارة عن ساحة تنطلق منها الأحمال الكثيرة من الصوف الرفيع، إلى الأسواق المختلفة مغربا ومشرقا.[42]

وفي خارج المدينة ممتلكات هائلة، فيها دور جميلة للغاية ينعم بها المدنيون ببستانها في فصل الصيف، حيث الكروم الممتازة تنتج أعنابا من كلّ لون. وعلى بعد نحو ثلاثة أميال شرق المدينة نجد عدّة أرحيّة لطحن القمح تقع على نهر يدعى سفسف، وأخرى فرب المدينة على منحدرات رأس القلعة إلى جهة الجنوب.[43]

– مدينة باغايا:

مدينة كبيرة تقع في سفح جبل الأوراس، ولها واد يجري إليها من جهة القبلة. وهي مدينة أزلية قديمة، أهلتها بأن تكون من المدن الهامة جدا في تاريخ المغرب الأوسط خاصة خلال القرن الخامس هجري (القرن 11م).[44]

ويذكر البكري أنّ في القرن الخامس هجري بقيت مدينة باغايا محصنة بسور من صخر قديم يحيط بها. وحوله ربض كبير من ثلاثة نواح من الشرق والشمال والجنوب، توجد بها فنادق وحمامات وأسواق كانت مخصصة للمسافرين من التجار وغيرهم وهي تعبر عن التطور الاقتصادي والتجاري والعمراني الذي بلغته المدينة في تلك الفترة.[45] وتحفها كذلك من جميع الجهات خاصة الشمالية والشرقية منطقة زراعية منبسطة تحتوي على مزارع ومسارح جمّة، وعمارات برابر.

- **مدينة قسنطينة:**

مدينة قديمة، أسوارها عتيقة عالية وسميكة مبنية بالحجر المنحوت المسوّد. وهي واقعة على جبل شاهق ومحاطة من جهة الجنوب بصخور عالية يمر عند قدميها نهر اسمه سوفغمار حاليا يسمى وادي الرمال. والضفة الأخرى محاطة أيضا بصخور، بحيث الوادي السحيق الواقع بين هذين الجرفين يستعمل كخندق للمدينة نظرا لحجمها الكبير. فالمدينة تضم ثمانية آلاف كانون، ولها موارد كثيرة، وهي متحضرة جدا، ومليئة بالدور الجميلة والبناءات المحترمة، كالجامع الكبير والمدارس والزوايا وأسواق عديدة تجميع الحرف فيها مفصول بعضها عن بعض.

ويوجد بالجانب الغربي للمدينة قلعة كبيرة هي كدية عاتي التي تحولت فيما بعد إلى ربض كبير للمدينة. وأراضي زراعية كلها خصبة، يبلغ إنتاجها ثلاثين ضعف ما يزرع فيها. وتوجد على طول الواد الذي يقطعها بساتين في غاية الجمال.[46]

وحسب المقديسي فالمدينة تطل على فحوص متصلة، ولها مزارع الحنطة والشعير ممتدة في جميع جهاتها.[47] وفي القرن السابع هجري (13م) ظهرت مساكن بضواحيها وأطرافها تقطنها الطبقات العامة وهم النازحون من الأرياف. اختاروا هذه المنطقة لتناسبها مع وضعهم الاجتماعي وطابعهم الريفي البدوي. كما يوجد أيضا بضواحي المدينة ميدان رسمي لسباق الخيل.كما لها منيات غنية بالأشجار المثمرة في سيدي مسيد والحامة.[48]

وقد صارت مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني عاصمة الشرق الجزائر يحيث شهدت أزهى أيامها، وتوسع عمرانها أكثر فأكثر من أي وقت مضى. فلم تبق المدينة محصورة داخل أسوارها وصار لها ربض بكدية بلغ عدد المساجد فيه خمسة.[49]

خلاصة عامة:

إنّ أهم ما نختم به هذا المقال لهذا النوع من الفضاءات التابعة لمدننا العربية الإسلامية القديمة أنها كانت من الأشكال العمرانية الجديدة التي استحدثها الإسلام في عمارة المدن مثلها مثل المسجد والإمارة اللذين يمثلان مركز المدينة، ونظام الأسواق والمرافق الخدماتية الأساسية لمعيشة واستمرار الحياة وتحقيق التطور، وكذا الأسوار التي تحاط بها من كلّ الجهات لتحميها من هجمات القبائل المتجولة وأطماع الحكام المجاورين.

فقد كان الفصل واضح بين أجزاء المدينة الإسلامية، فالقصبة والمدينة وأرباضها كانت مراكز مستقلة بحياتها الذاتية. والعناصر اللوحيدة المشتركة هي السور العام الواقي من العدو الخارجي. وقد نشئت الأرباض من تلاحم الأحياء المتباينة الأبعاد والمساحة.

وهذه الرؤية تتضح أكثر في ضوء ما أشرنا إليه من مراحل النمو العمراني للمدينة الإسلامية التي تنمو في هيئة أرباض ظاهر المدينة تتصل عمرانيا بالمدينة الأم متأثرة

بالأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تمر بها. فقد أنشئت بغداد كمدينة مستقلة ثم أنشأ المنصور الرصافة لابنه المعتصم بالله هو وجنده، وكان لها كيانها المستقل أيضا، وأنشئ الكرخ لنقل التجارة من بغداد إليه، وأنشئ له مسجد جامع ليمنع دخولهم إلى المدينة، وفي مرحلة لاحقة أدمجت التكوينات الثلاثة وأصبحت تشكل كيانا واحدا ولا سيما بعد أن ألغيت صلاة الجمعة في الأرباض الجديدة، وكذلك الحال بالنسبة للفسطاط والعسكر والقطائع والقاهرة، فلم يحدث هذا الدمج إلا بعد القضاء على الدولة الفاطمية، وكان جانبا من خطة صلاح الدين التي رمت إلى القضاء على الأثر الفاطمي، وتحويل القاهرة إلى مدينة عامة.[50]

ومن جهة أخرى يلاحظ أن المدينة الإسلامية لم تتضمن بداخلها بعض المرافق التي تحتاج إلى مساحات واسعة، والتي لا يحدث أي ضرر من وجودها خارج أسوار المدن، كمصلى العيد، والمقابر، وميادين استعراض الجند، والأسواق الأسبوعية وغيرها، والتي ارتبطت مواضعها إلى حد بعيد بخارج المدينة أو ببواباتها الخارجية.

المـــــراجـــــع:

1. الإمام جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثاني عشر، منشورات، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 2003.
2. البكري عبد اللهبن عبد العزيز، المسالك والممالك، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1ن 2002.
3. المقديسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة ليدن، 1877.
4. الحبيب الجنماني، الغرب الإسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في القرنين 3-4 هـ/ 9-10م، الدار التونسية للنشر، 1978.
5. أندريه ريمون ترجمة لطيف فرج، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة، 1991.
6. حسين مؤنس، فجر الأندلس، ط 1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، 2002.
7. عبد العال عبد المنعم السامي، جغرافية المدن عند العرب، مجلة عالم الفكر، المجلد 9، العدد الأول، 1978.
8. عبد العزيز فيلالي، مدينة قسنطينة: تاريخ- معالم- حضارة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2007.
9. عبد القادر دحدوح، التطور العمراني لمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، مجلة المعالم، ولاية قالمة، العدد 14\2013.
10. عبد الله عطوي، جغرافية المدن، الجزء الثاني، دار النهضة العربية، لبنان، الطبعة الأولى، 2002.
11. لطفي دبيش، الإنسان والمكان في الثقافة العربية الإسلامية، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، السلسلة 8، جامعة تونس، 2011.
12. ليون الإفريقي: وصف أفريقية، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، نشر دار الغرب، الإسلامي، 1983.

13. محمد ابن مرزوق الخطيب، المجموع، مخطوط، الرباط: الخزانة العامة، ميكروفيلم رقم 20، ورقة 13.
14. محمد حسن، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تونس، السلسلة: 4، المجلد 32، 1999.
15. محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، مجلة المعرفة، العدد 128، أوت 1988. معلمة المغرب، قاموس للتاريخ والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى، إنتاج الجمعية المغربية، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار مطابع سلا، 2000

الهوامش:

(1)- الحبيب الجنماني، الغرب الإسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في القرنين 3-4 هـ/ 9-10م، الدار التونسية، 1978، ص 14.
(2)- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة ليدن، 1877، ص 35.
(3)- لطفي دبيش، الإنسان والمكان في الثقافة العربية الإسلامية، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، السلسلة 8، جامعة تونس، 2011، ص 464.
(4)- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، مجلة المعرفة، العدد 128، أوت 1988، ص 132.
(5)- الرستاق: قرى، مقاطعة. جمع: رساتيق ورستاقات. انظر معجم الرائد.
(6)- محمد حسن، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تونس، السلسلة: تاريخ 4، المجلد 32، 1999، ص، ص، ص56-57-58.
(7)- عبد العال عبد المنعم السامي، جغرافية المدن عند العرب، مجلة عالم الفكر، المجلد التاسع، العدد الأول، أفريل- مايو- يونيو، 1978، ص 139.
(8)- الإمام جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثاني عشر، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 2003، ص 170.
(9)- معجم الوسيط، معجم اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، 2004، ص 323.
(10)- عبد العال عبد المنعم السامي، جغرافية المدن عند العرب، مرجع سابق، ص 140.
(11)- حسين مؤنس، فجر الأندلس، ط 1، مطبعة العصر الحديث للنشر والتوزيع، 2002، ص 461.
(12)- عبد العال عبد المنعم السامي، مرجع سابق، ص 140.
(13)- الإمام جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، المجلد الرابع عشر، مرجع سابق، ص 479.
(14)- أندريه ريمون ترجمة لطيف فرج، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة، 1991، ص 148.
(15)- محمد حسن، المدينة والبادية في العهد الحفصي، مرجع سابق، ص، ص، 58، 62.
(16)- معلمة المغرب، قاموس مرتب على حروف الهجاء متعلق بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار مطابع سلا، 2000، ص، 3630.

(17)- محمد حسن، نفس المرجع، ص، 186.
(18)- عبد العال عبد المنعم السامي، جغرافية المدن عند العرب، مجلة عالم الفكر، المجلد التاسع، العدد الأول، مرجع سابق، ص 141.
(19)- نفس المرجع، ص 68.
(20)- الحسن بن محمد الوزاني الفاسي، مرجع سابق، ص ص، ص، 208-211-212.
(21)- الحسن بن محمد الوزاني الفاسي، وصف إفريقيا، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص، ص، 74-76.
(22)- السواني: استعمل هنا السواني بمعنى الآبار.
(23)- محمد حسن، مرجع سابق، ص ص، 62، 76.
(24)- الحسن بن محمد الوزاني الفاسي، مرجع سابق، ص، ص، ص، 221، 225 ،277
(25)- مرجع نفسه، ص، 281.
(26)- لقد جرت العادة بأن تسمى المدينة الرئيسية بالأم، لأنها تكون أكبر مدن الناحية وأهمها. أنظر حسين مؤنس، فجر الأندلس، ط 1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، 2002، ص 460.
(27)- عبد الله عطوي، جغرافية المدن، الجزء الثاني، دار النهضة العربية، لبنان، الطبعة الأولى، 2002، ص 118.
(28)- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، مرجع سابق، ص 109.
(29)- نفسه، ص 110.
(30)- نفسه، ص 77.
(31)- نفسه، ص 48.
(32)- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، مرجع سابق، ص، 70.
(33)- ليون الإفريقي: وصف إفريقيا، ترجمة د .محمد حجي، د .محمد الأخضر، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 321 – 249.
(34)- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، مرجع سابق، ص 74.
(35)- نفسه، ص 108
(36)- نفسه، ص 113.
(37)- نفسه، ص 113.
(38)- نفسه، ص 115.
(39)- نفسه، ص 113.
(40)- عبد العزيز فيلالي، مدينة قسنطينة: تاريخ- معالم- حضارة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2007، ص 57.
(41)- يذكر المؤرخون أن ربض العباد ينقسم إلى قسمين: العباد السفلي والعباد العلوي.
(42)- محمد ابن مرزوق الخطيب، المجموع، مخطوط، الرباط: الخزانة العامة، ميكروفيلم رقم 20، ورقة 13.
(43)- الحسن بن محمد الوزاني الفاسي، الجزء الثاني، ص ، ص 17-20.
(44)- المرجع نفسه، ص 276.
(45)- البكري عبد اللهبن عبد العزيز، المسالك والممالك، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1ن 2002، ص، 228، 229.
(46)- الحسن بن محمد الوزاني الفاسي، مرجع سابق، ص ، ص، ص 56-57، 58.
(47)- المقديسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، نفس المرجع، ص 266.

(48)- الحسن بن محمد الوزاني الفاسي، مرجع سابق، ص 58.
(49)- عبد القادر دحدوح، التطور العمراني لمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، مجلة المعالم، جمعية التاريخ والمعالم الأثرية لولاية قالمة، العدد 14\2013، ص 151.
(50)- نفسه، ص 115.